The semantic association between the words of good and their descriptions in the Holy Quran, a new linguistic vision

Dr.Hussam Jalil Abdul Hussein
Open College of Education / Najaf Center
E-mail: husamalkufe@gmail.com

Abstract:

This research counted the verses in which the word (good) appeared, and their number reached seventeen verses; some of which were similar in description and some differed from it to require a new and different described that wears the attribute (good); for example: (a blessed and good greeting) and (good offspring) and (good dwellings) and (like a good tree); The research tried to study these words in light of the semantic association that falls under the basis of modern concepts; The research was divided into two sections: The first section: the rational described, while the second section studied the non-rational described.

The research begins in its introduction by defining the association that is intended in this research before entering the sea of procedure; The association in the specific language of the triliteral being (why) which is from one correct root, indicates the constant accompaniment of one thing with another, and he defined it technically as - association -: fulfilling the semantic from the interaction of associations with the context; because the context may change the meanings of some morphological forms and reverse the meaning of the dictionary to prove what it wants from the intended meaning despite the clarity of the association that suggests acquisition because it is easy to implement; but the gaps in the context and the reader's contemplation bring together something strange once and something rich another time and there may be a big difference in the third time, and the research came out with many results including: the semantic association in the words of Al-Tayeb was characterized by the breadth of communication that prevents the replacement of the word with another, and focusing on the semantic association can revive some of the dead lexical meanings of the message of Al-Tayeb, especially its agreement with the context in general.

Key words:

- Semantic association: the word good and its described.
- The described: the one described as good, whether rational or irrational.
- The attribute: the fixed and variable attribute, such as the state, for example

الملازمة الدلالية بين ألفاظ الطيّب وموصوفوها في القرآن الكريم رؤية لسانية جديدة

الدكتور حسام جليل عبد الحسين
الكلية التربوية المفتوحة / مركز النجف الأشرف
E-mail: husamalkufe@gmail.com

الملخص:

أحصى هذا البحث الآيات التي وردت فيها كلمة (الطيّب) فوصل عددها إلى سبع عشرة آية ؛ منها ما تشابهت في الوصف ومنها اختلفت عنه لتستدعي موصوفا جديدا مختلفا تلبسه صفة (الطيّب) ؛ من ذلك مثلا : (تحية مباركة طيبة) و (ذريّة طيبة) و (مساكن طيبة) و (كشجرة طيبة) ؛ فحاول البحث أن يدرس هذه الألفاظ دراسة في ضوء الملازمة الدالية التي تندرج تحت مفاهيم اللسانيات الحديثة ؛ وتم تقسيم البحث على قسمين : القسم الأول :الموصوف العاقل ، أما القسم الثاني فدرس الموصوف غير العاقل.

وبدأ البحث في مدخله بتعريف الملازمة التي يقصدها في بحثنا هذا قبل الولوج في بحر الإجراء ؛ فالملازمة في اللغة مشتقة من الفعل الثلاثي (لزِمَ) وهو من أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى مُصَاحَبَةِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ دَائِمًا، وعرّفها اصطلاحيا بأنها –الملازمة – : استيفاء المعنى الدلالي من تفاعل المتلازمات مع السياق ؛ لأن السياق قد يغيّر بعض معاني الصيغ الصرفية ويقلب معنى المعجم ليثبت ما يريده من معنى مقصود على الرغم من وضوح التلازم الذي يوحي باقتناء المعنى بيسر وسهولة؛ لكنّ فروض السياق وتدبر القارئ يجعلان المعنى غريبا مرة وثرّا مرة أخرى وقد يكون بينهما لعلة مقصودة في المرة الثالثة ،وخرج البحث بنتائج كثيرة منها : الملازمة الدلالية في ألفاظ الطيب اتصفت باتساع المعنى الذي يمنع استبدال اللفظة بغيرها ، و التركيز بالملازمة الدلالية يمكن أن يحيي بعض المعاني المعجمية الميتة للفظة الطيّب ولاسيما موافقتها للسياق بشكل عام .

الكلمات المفتاحية :

- ❖ الملازمة الدلالية : كلمة الطيّب وموصوفها .
- ❖ الموصوف : الذي وصف بالطيب سواء أكان عاقلا أم غير عاقل .
- ❖ الصفة : الصفة الثابتة والمتغيرة كالحال مثلا .

المقدمة:

وصفت الكثير من الكلمات في القرآن الكريم بوصف (الطيّب) حيث أحصيتُ الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة فوصل عددها إلى سبع عشرة آية ؛ منها ما تشابهت في الوصف ومنها اختلفت عنه لتستدعي موصوفا جديدا مختلفا تلبسه صفة (الطيّب) ؛ من ذلك مثلا : (تحية مباركة طيبة) و (ذريّة طيبة) و (مساكن طيبة) و (كشجرة طيبة) ... ؛ فهذا التنوع بالموصوف سواء أكانت صفته ثابتة أو متغيرة كالحال مثلا فرض علينا أن ندرس الملازمة بينه وبين صفته دلاليا ؛ لأننا إذا سلّمنا بتشابه المعنى في الآيات كافة مع اختلاف الموصوف سنقع في دائرة القبول الدلالي غير المتكئ على تحليل شامل لكل آية مباركة وردت فيها هذه الصفات.

لذا سنحاول – بفضل الله ومنه – أن ندرس هذه الألفاظ بعد تقسيمها على قسمين : القسم الأول : سيخصص للموصوف العاقل ، أما القسم الثاني فسيكون للموصوف غير العاقل ، ثم نقوم بدراسة الصفة وموصوفها دلاليا باتباع المنهج الوصفي بمعية التحليل والترجيح لمعاني الألفاظ التي اقترنت بها وبيان مناسبة الملازمة الدلالية المختلفة في الآيات محور البحث .

ولابد من توضيح معنى الملازمة التي نقصدها في بحثنا هذا قبل الولوج في بحر الإجراء ؛ فالملازمة في اللغة مشتقة من الفعل الثلاثي (لزِمَ) وهذا الفعل له ((أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى مُصَاحَبَةِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ دَائِمًا، يُقَالُ :لَزِمَهُ الشَّيْءُ يَلْزَمُهُ، وَاللِّزَامُ :الْعَذَابُ الْمُلَازِمُ لِلْكُفَّارِ))[1]؛فالمصاحبة بهذا المعنى تكون دائمة للأشياء بحسب نوع الارتباط بينها ؛ وهذا ما أقره الصرفيون أيضا حين قالوا إن (فاعَلَ) يأتي للمشاركة [2] ؛ لكن هذه المفاعلة أو الصيغة الصرفية بشكل عام تبقى توّاقة إلى معنى جديد بحكم اتساع المعنى نفسه والمقاصد ولاسيما في النصوص العالية والقرآن الكريم أعلاها سطوة ودلالة .

لذا يمكن أن نعرّف الملازمة الدلالية بأنها : استيفاء المعنى الدلالي من تفاعل المتلازمات مع السياق؛ لأن السياق قد يغيّر بعض معاني الصيغ الصرفية ويقلب معنى المعجم ليثبت ما يريده من معنى مقصود على الرغم من وضوح التلازم الذي يوحي باقتناء المعنى بيسر وسهولة؛ لكنّ فروض السياق وتدبر القارئ يجعلان المعنى غريبا مرة وثرّا مرة أخرى وقد يكون بينهما لعلة مقصودة في المرة الثالثة .

فسنحاول في هذا البحث أن نتناول المتلازمات وموصوفاتها العاقلة وغير العاقلة بعناية ودقة لنصل إلى المبتغى وكما يأتي :

أولاً : وصف العاقل .

الوصف بحكم ضوابط النحويين مع اختلاف تسمياته هو متعلق أو تابع يحدد صفة دلالية من صفات موصوفه [٣] وهذه الصفة تكشف عن وجه من وجوه الموصوف سواء أ كان عاقلا أم غير عاقل ؛ لذا سيكون بحثنا دلاليا بعيدا عن النحو إلا في بعض الإيضاحات التي نحتاجها وكما يأتي :

١ – قال تعالى : ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [٤].

هذه الآية المباركة نتيجة لما سبقها من آيات تبيّن فضل الله جلت قدرته على نبي الله زكريا ؛ حيث اختلف المفسرون في توجيه معنى الطيبة الملازمة للذرية ، فقد تم تأويلها إلى معان متنوعة ذات دلالة متقاربة ؛ جاء في جامع البيان : ((فَإِنَّهُ يَعْنِي بِالذُّرِّيَّةِ النَّسْلَ، وَبِالطَّيِّبَةِ الْمُبَارَكَةَ))[٥] ورأى مفسر آخر أن الطيبة تعني الذرية الصالحة ، قال : ((من عنْدك (ذُرِّيَّة طيبَة)أَي: ولدا صَالحا تقيا نقيا، والذرية تشْتَمل على الذّكر وَالْأُنْثَى))[٦]؛ فنرى أن الزيادات على الرغم من تشابهها ظاهريا لكنها توحي بانفتاح المعنى ؛ وهذا الذي جعل المفسرين يختلفون بالتوجيه في دلالة الطيبة .

ولقد ذكر الطباطبائي (ت١٩٨١م) تفسيرا جميلا لمعنى التلازم بين الذرية وكلمة طيبة فقال : ((لما كان الباعث له عليه ما شاهد من أمر مريم وخصوص كرامتها على الله وامتلاء قلبه من شأنها لم يملك من نفسه دون أن يسأل الله أن يهب له مثلها خطرا وكرامة فكون ذريته طيبة أن يكون لها ما لمريم من الكرامة عند الله والشخصية في نفسها ولذلك استجيب في عين ما سأله من الله ووهب له يحيى وهو أشبه الأنبياء بعيسى عليهما السلام وأجمع الناس لما عند عيسى وامه مريم الصديقة من صفات الكمال والكرامة ومن هنا ما سماه تعالى بيحيى وجعله مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين وهذه أقرب ما يمكن أن يشابه بها إنسان مريم وابنه عيسى عليهما السلام على ما سنبينه إن شاء الله تعالى))[٧]؛ فنرى السيد الطباطبائي ذهب أوسع مما ذهب إليه المفسرون وأعط دلالة شاملة معتمدا عل سياق الحدث الذي يعنى بمجموع ((النص الذي يحيط بالجملة التي يراد فهمها وعليه يتوقف الفهم السليم لها))[٨]؛ وهذا أمر لابد منه والتفاتة دقيقة من صاحب الميزان ؛ لكننا يجب أن نقف على سبب اختيار هذه الصفة لموصوف مثل (الذرية) ، هل الغاية هذا التنوع بالتوجيه أم ماذا ؟ .

يمكن أن نجد شيئا من ضالتنا في المعجمات العربية التي أعطت اتساعا لمعنى الطيّب ، جاء في المحكم : ((والطَّيِّبُ من كُلِّ شَيءٍ :أَفْضَلُه، وطِيبَةُ الكَلأ :أَخْصَبُه .وطَيِّبُةُ الشَّرابِ :أَجَمُّهُ وأَصْفَاه،وطابَتِ الأَرضُ طِيباً :أَخْصَبَتْ وأَكْلأَتْ .والأَطْيَبانِ :الطَّعامُ والنِّكاحُ، وقِيلَ :الفَمُ والفَرْجُ: وقِيلَ: هُما الشَّحْمُ والشَّبابُ، عن ابنِ الأَعرابِي. وشَرَابٌ مَطْيَبَةٌ للنَّفْسِ، أي :تَطِيبُ عليه. وقد طابَتْ نَفْسِي عن ذلك تَرْكاً .وطابَتْ عَلَيه :إذا وافَقَها))[٩]؛ فالكلمة في اللغة تستعمل في مواضع متعددة وتعطي إحساسا بالقبول أو الراحة كما وصفها الراغب في مفرداته إذ قال في أصل الطيّب : ((ما تستلذّه الحواسّ، وما تستلذّه النّفس، والطّعامُ

الطَّيِّبُ في الشّرع :ما كان متناولا من حيث ما يجوز، ومن المكان الّذي يجوز فإنّه متى كان كذلك كان طَيِّباً عاجلا وآجلا لا يستوخم، وإلّا فإنّه- وإن كان طَيِّباً عاجلا- لم يَطِبْ آجلا))[١٠]؛ فيبدو أن هذا الاتساع في دلالة الطيّب متفق عليه لكننا مازلنا نبحث عن الإفادة منه في ملازمة الذرية ؛ فما هي الإفادة من هذا الاتساع بالتفسير ودلالة المعجم ؟ .

ويمكن أن نخلص بنتيجة الاتساع في معنى كلمة الطيّب حينما لازمت الذرية بما يأتي :

أ- هذه الملازمة أعطت اتساعا وملاءمة لكلمة الذرية إذ لا يمكن استبدالها بغيرها من الكلمات المفسّرة – مبارك ، صالح، نقي، تقي – كونها لا تفي بالغرض العام للملازمة من جهة والاتساع المرغوب فيه من جهة أخرى .

ب_ تحقيق الدعاء والنذر لزكريا وزوجته _ عليهما السلام _بعد أن طلبا من الله الولد بشكل صريح في آيات سابقة ؛ وهذا الولد لا يشبه الأنثى ليحقق مرادهم .

ج_ دوام صفة النقاء بالولد من حيث النظرة الطبيعية لما تمر به المرأة من أوقات لا تستطيع فيها خدمة الكنيسة .

١-﴿ **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [١١].

كلمة الـ(طيبين) في هذه الآية ارتبطت بالعاقل أيضا على الرغم من وجود رأي يقول إنها تتعلق بالملائكة ؛ جاء في التبيان : (((طَيِّبِينَ) حَالٌ مِنَ الْمَفْعُولِ وَ يَقُولُونَ حَالٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ))[١٢]؛ لكن السياق كشّاف للمعنى ؛ لذا نرى الكثير من المفسرين مالوا إلى كونها تلازم العاقل واتسعوا كالعادة في بيان المعنى الحسن للكملة ؛ ذكر الطوسي (ت٤٦٠هـ) أن معنى ((الذين تتوفاهم الملائكة طيبين أي صالحين بأعمالهم الجميلة خلاف من تتوفاهم خبيثين بأعمالهم القبيحة، وأصل الطيبة حال المستلذ من الأطعمة، يقول الملائكة لهم سلا عليكم ادخلوا الجنة جزاء على أعمالكم في الدنيا من الطاعات))[١٣]؛ وهذا المعنى مستوحى من المعجم ؛ لأن المعجمات لم تعط معنى دقيقا للكلمة سوى جعلها بخلاف معنى الخبيث مع بعض المعاني العامة السياقية ؛ جاء في المقاييس : ((الطَّاءُ وَالْيَاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْخَبِيثِ، مِنْ ذَلِكَ الطَّيِّبُ :ضِدُ الْخَبِيثِ))[١٤]؛فالتأثر واضح وبيّن في تفسيرها لذلك نرى بعضهم يفسرها بقوله : ((وقوله: طَيِّبِينَ كلمة مختصرة جامعة لمعان كثيرة؛ فيدخل فيها إتيانهم بالمأموراتِ، واجتنابهم عن المنهيات، واتصافهم بالأخلاق الفاضلة، وبراءتهم عن الأخلاق المذمومة))[١٥]؛ ويبدو أن هذه المعاني مستوحاة من سلوك الإنسان المؤمن الذي لابد من اتصافه بهذه الصفات الحميدة التي اختصرتها كلمة واحدة وهي كلمة الطيبين ؛ لذا جعلها القرطبي(ت ٦٧١هـ) تتسع إلى ستة معان ؛ فقال :

((و"طَيِّبِينَ "طَاهِرِينَ مِنَ الشِّرْكِ، الثَّانِي- صَالِحِينَ، الثَّالِثُ- زَاكِيَةٌ أَفْعَالُهُمْ وَأَقْوَالُهُمْ، الرَّابِعُ- طَيِّبِينَ الْأَنْفُسِ ثِقَةً بِمَا يَلْقَوْنَهُ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ تَعَالَى، الْخَامِسُ- طَيِّبَةٌ نُفُوسُهُمْ بِالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ، السَّادِسُ"-طَيِّبِينَ "أَنْ

تَكُونَ وَفَاتُهُمْ طَيِّبَةً سَهْلَةً لَا صُعُوبَةَ فِيهَا وَلَا أَلَمَ، بِخِلَافِ مَا تُقْبَضُ بِهِ رُوحُ الْكَافِرِ وَالْمُخَلِّطِ؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ))[١٦]؛ وهذا الاتساع لا بد من تحديده ليس لاختصار المعنى بل لبيان ملازمة الكلمة مع موصوفها فضلا عن سياقها.

فيمكن أن نسأل سؤالا واحدا ؛ هل بإمكاننا تحديد هذا الاتساع إذا كان المقصود منه فئة المؤمنين ؟ والإجابة عن هذا السؤال معقودة بفهم السياق العام للآيات المباركة ؛ لأن الخطاب في آية سبقت آية البحث موجه للناس جميعا ودعوتهم إلى التوحيد ، قال تعالى : ﴿**إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ** ﴾[١٧]؛ فيبدو لي – والله أعلم – أن المعنى الأول الذي ذكره القرطبي هو المعنى المرجّح – طاهرين من الشرك – ويمكن أن يكون بمعنى (الموحّدين) ؛ لأن الذين وحّدوا الله في الدنيا ستنطوي لهم الصفات الأخرى وغيرها في الدارين – الدنيا والآخرة – ؛ فهذا المعنى مستوحى من ملازمة الكلمة بموصوفها مع سياقها العام الذي استعملها بطريقة مختلفة ؛ لذا قالوا : ((إن معنى الكلمة هو مجموع استعمالاتها))[١٨] فالكلمة في المعجم محتفظة بمعانيها الحقيقية والمجازية لكنها في السياق تميل إلى معنى مختلف بحكم ملازمتها مع الكلمة القريبة وسياق النص .

ثانيا : وصف غير العاقل .

الوصف باتساعه لا يقف عن العاقل فقط بل يتعداه لوصف غير العاقل أيضا ، وبحكم توحيد وصفنا في هذا البحث من حيث كونه كلمة واحدة بأصل واحد ولا يتغير فيها سوى التأنيث أو التعريف أو التنكير مع تغيّر الموصوف ؛ لذا سنحاول في هذه النقطة تسليط الضوء على الموصوف بالطيّب غير العاقل وكما يأتي :

١-﴿ **وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [١٩].

في هذه الآية المباركة وغيرها[٢٠] لزمت صفة الـ(طيّبة) موصوفها (مساكن) غير العاقل ليخرج المفسرون بتوجيهات مختلفة لهذه الملازمة لكنها متقاربة كما عهدنا ذلك في آيات أخرى ؛ لذا عرض الرازي(المتوفى: ٦٠٦هـ) في مفاتيحه بعض الروايات التي تؤكد أن الموصوف يقصد به غير العاقل_المساكن_ فقال : ((قَالَ الْحَسَنُ: سَأَلْتُ عِمْرَانَ بْنَ الْحُصَيْنِ وَأَبَا هُرَيْرَةَ عَنْ قَوْلِهِ :وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فَقَالَا: عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتَ، سَأَلْنَا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُوَ قَصْرٌ فِي الْجَنَّةِ مِنَ اللُّؤْلُؤِ، فِيهِ سَبْعُونَ دَارًا مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، فِي كُلِّ دَارٍ سَبْعُونَ بَيْتًا مِنْ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ سَرِيرًا، عَلَى كُلِّ سَرِيرٍ سَبْعُونَ فِرَاشًا، عَلَى كُلِّ فِرَاشٍ زَوْجَةٌ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ مَائِدَةً، عَلَى كُلِّ مَائِدَةٍ سَبْعُونَ لَوْنًا مِنَ الطَّعَامِ، وَفِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ

وَصِيفَةً، يُعْطَى الْمُؤْمِنُ مِنَ الْقُوَّةِ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ مَا يَأْتِي عَلَى ذَلِكَ أَجْمَعَ و وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا دَارُ اللَّهِ الَّتِي لَمْ تَرَهَا عَيْنٌ وَلَمْ تَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَأَقُولُ لَعَلَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّهَا دَارُ الْمُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنَّهُ كَانَ أَعْلَمَ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ يُثْبِتَ لَهُ دَارًا))[٢١]؛ فالموصوف هنا بحسب الرواية قصر فيه مجموعة دور وزوجات وموائد متنوعة ؛ وقد يكون قصرا لم تره عين مطلقا كما نقل عن ابن عباس في الرواية الثانية ؛ وهذا يعني أن المساكن تحمل انفتاحا دلاليا بحكم ارتباطها بالطيبة مرة وبسياق الآية بشكل عام مرة ثانية .

واكتفى بعض المفسرين وغيرهم بتفسير الكلمة بجملة واحدة؛ فجاء في اللباب أن المساكن الطيبة هي المنازل الطيبة [٢٢] ، وذكر صاحب البصائر أنها ((طاهرة زكيّة مستلذَّة))[٢٣]، وتردد بعضهم في إسناد الكلمة إلى الحقيقة أو المجاز كونها تحمل عل الحقيقة أو المجاز بحسب التوجيه ، جاء في روح المعاني :

((وَمَساكِنَ طَيِّبَةً أي تستطيبها النفوس أو يطيب فيها العيش فالإسناد إما حقيقي أو مجازي))[٢٤]؛ فهذا التردد لم يأتِ من فراغ بل تحت ضغط الاتساع المتوافر في كلمة الطيبة وسياقها فضلا عمّا ذكره المفسرون من اتساع واضح في تفسيرها ؛ أما الإسناد الحقيقي أو المجازي الذي ذكره الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) فيمكن أن يكون حقيقيا بشكل كامل إذ دل عليه دليل ثابت ؛ لأن الدليل يُذهب الغرابة والدهشة ويصبح المعن مألوفا مستعملا [٢٥] بخلاف الذي يبقى في دائرة الغرابة والبعد والترجيح الضعيف .

وقد ذكر الطاهر بن عاشور رأيا مختلفا بعض الشيء عن آراء المفسرين ؛ إذ قال: ((وَعَطْفُ وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ عَلَى جَنَّاتٍ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ لَهُمْ فِي الْجَنَّاتِ قُصُورًا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً، أَيْ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ خُبْثِ الْمَسَاكِنِ مِنَ الْأَوْسَاخِ وَآثَارِ عِلَاجِ الطَّبْخِ وَنَحْوِهِ نَظِيرُ قَوْلِهِ: وَلَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ))[٢٦]؛ فالجديد بالرأي مقارنة معنى المساكن الطيبة –بحسب توجيه الطاهر– بالأزواج المطهّرة ؛ وهذا التوجيه مختلف عن غيره إلا أنه يبقى بحدود معنى المعجم لكملة الطيب مع الاعتماد على السياق الخاص بالآية المباركة فضلا عن السياق القرآني العام .

ويمكن أن نستوحي من هذا التوجيه معنى مختلفا أيضا تحت ظل الملازمة بين المساكن وطيبة من جهة ومقارنتها بروافد السياق القرآني والمعنى المعجمي من جهة ثانية ؛ فإذا اتفقنا بأن ملازمة الطيبة للمساكن تعطيها معنى جديدا ولا سيما معنى الجزاء المذكور في الآية المباركة فيمكن أن نسأل سؤالا واحدا وبوساطة الإجابة عنه قد نصل إلى معنى مختلف يتكئ على السياق بشكل عام ؛ ويتلخص بما يأتي :

هل المساكن في اللغة تعني الدور أو المنطقة السكنية فقط ؟ .

والإجابة عن هذا السؤال يجب أن تقف على صفحات المعجمات العربية ؛ فبعض المعجمات أشارت إلى معنى آخر للمساكن بل جعلتها مساوية للسكن ؛ جاء في اللسان : ((والسَّكَنُ والمَسْكَنُ والمَسْكِن :الْمَنْزِلُ وَالْبَيْتُ؛ الأَخيرة نَادِرَةٌ، وأَهل الْحِجَازِ يَقُولُونَ مَسْكَنٌ، بِالْفَتْحِ ... والسَّكَنُ :المرأَة لأَنها يُسْكَنُ إِلَيْهَا))[٢٧]؛ فالتماثل بالمعاني بين السكن والمسكن كونهما من يحملان دلالة لغوية واحدة [٢٨] فضلا عن

صريح القول بأن السكن يعني المرأة ؛ فلا نستغرب حين نر معجميا آخر يبين أن دلالة السكن نفسها واسعة جدا ومنها:((السَّكَنُ: كلُّ) مَا يُسْكَنُ إِلَيْهِ (ويُطْمأَنُّ بِهِ مِن أَهْلٍ وغيرِهِ؛ وَمِنْه قوْلُه تعالَى: جَعَلَ لكُمُ اللَّيْلَ سَكَناً {وَفِي الحدِيثِ) :اللَّهُمَّ أَنْزِلْ علينا فِي أَرْضِنا سَكَنَها ، أَي غيَاث أَهْلها الَّذِي تَسْكُن أَنْفَسهم إِلَيْهِ))[٢٩]؛ فالسكن يعني كل ما تهدأ عنده النفوس وترضى سواء أكان عاقلا أو غير عاقل ؛ وهذا الأمر ليس بعيدا عن سكون النفوس بالقرب من الزوج كما قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[٣٠]؛ فتوحيد الدلالة بين المسكن والسكن يجعلنا نميل إلى كون المساكن هي الزوجات أو الحور المطهرات ممّا تمر به المرأة في الدنيا مع ديمومة هذه الطهارة مدى الأيام والسنين بحسب سياق الآية المباركة الذي يسمح بذلك على الرغم من غرابته على القارئ _والله أعلم_.

١- قال تعالى : ﴿ **وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ** ﴾ [٣١].

في هذه الآية المباركة ارتبطت كلمة الطيب بكلمة البلد لتمثل مقارنة دلالية بين صفة الطيب وصفة الخبث ؛ لذا نرى المفسرين وجهوا الآية بتوجيهات اعتمدت على كلمة الطيب بشكل خاص ؛ جاء في جامع البيان : ((والبلدُ الطيبةُ تربتُه، العذبةُ مشاربُه، يخرجُ نباتُه إذا أَنزَل اللهُ به الغيثَ، وأرسَل عليه الحيا بإذنِه، طيبًا ثمرُه في حينِه ووقتِه، والذي خَبُث فَردُؤت تربتُه، ومَلُحَت مشاربُه، لا يَخْرُجُ نباته))[٣٢]؛ والواضح من التفسير أنه يقصد البلد بعمومه وجعل هذا الأمر مثلا ((ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ يَقُولُ هُوَ طَيِّبٌ وَعَمَلُهُ طَيِّبُ كَمَا أَنَّ الْبَلَدَ الطَّيِّبَ ثَمَرُهَا طَيِّبٌ وَالَّذِي خَبُثَ ضُرِبَ مَثَلًا لِلْكَافِرِ كَالْبَلَدِ السَّبِخَةِ الْمَالِحَةِ وَالْكَافِرُ هُوَ الْخَبِيثُ وَعَمَلُهُ خَبِيث))[٣٣]؛لذا نرى أن بعضهم حاول تخصيص هذه العمومية ليكون معنى (البلد الطيب) هو:

((الْأَرْضُ الْمَوْصُوفَةُ بِالطَّيِّبِ، وَطِيبُهَا زَكَاءُ تُرْبَتِهَا وَمُلَاءَمَتُهَا لِإِخْرَاجِ النَّبَاتِ الصَّالِحِ وللزّرع وَالْغَرْس النّافع وَهِيَ الْأَرْضُ النَّقِيَّةُ وَالَّذِي خَبُثَ ضِدَّ الطِّيب)) [٣٤]؛ فدوران الدلالة ملازم لأرض البلد الطيّب ويمكن أن تحمل العمومية والخصوصية معا بحكم انفتاح الدلالة وملازمة الكلمة لما يساعد على ذلك الانفتاح .

ويرى الطباطبائي أن إطلاق ألفاظ الطيب والخباثة لأشياء معينة هو من باب الاعتناء بها ؛ لذا قال :

((والطيب والخباثة على ما لهما من المعنى وصفان حقيقيان لأشياء حقيقية خارجية كالطعام الطيب أو الخبيث والأرض الطيبة أو الخبيثة ... وإن أطلق الطيب والخباثة أحيانا على شيء من الصفات الوضعية الاعتبارية كالحكم الطيب أو الخبيث والخلق الطيب أو الخبيث فإنما ذلك بنوع من العناية))[٣٥] ؛ فهذه الألفاظ لها معنى حقيقي وإن مالت إلى غير استعمالها المعروف فهو من باب العناية؛ وهذا الرأي جدير بالتوقف عنده .

فقد تكون الدلالة المقصودة من تلازم الكلمتين – البلد + الطيب – دلالة حقيقية خاصة وليست عمومية تتعلق بالبلد ثم أرضه ؛ وهذا بشرط قبول المعجم ؛ لذا نجد المعجم يعطي تخصيصا لدلالة البلد غير العمومية المتوافرة فيه ؛ جاء في المحكم : ((والبَلْدَةُ والبَلَدُ :التُّرابُ .والبَلَدُ :ما لم يُخْفَرْ من الأَرْضِ ولم يُوقَدْ فيهِ، قالَ الرّاعِي:

ومُوقَدُ النّارِ قد بادَتْ حَمامَتُه ... ما إن تَبَيَّنَهُ في حِدَّةِ البَلَدِ [٣٦]))[٣٧].

فكملة البلد تحمل معنى التراب ؛فيمكن أن يقصد به تراب البلد كما أشار إلى ذلك ابن عاشور ؛ بل قد يصل المعنى إلى الإنسان نفسه كونه مخلوقا من تراب ؛ وهذا الأمر جلي في القرآن ومذكور في مواضع قرآنية كثيرة ؛ قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ**﴾[٣٨]؛ فالناس سواسية من حيث الحلق وهم يشوّهون تراب أرواحهم ونفوسهم بأيديهم ليحمل معنى الطيب مرة أو يكون متمردا على خالقه ليحمل معنى مختلفا يوصف بالخبث ؛ فهذه الدقة بالاختيار لا تجعلنا متمسكين بكون الآية مثلا يضرب للناس ؛ لأن المثل في القرآن لا يفهم من دلالته الظاهرة ؛ بل بوساطة السياق الذي يقود إلى استيحاء المعنى [٣٩] وعدم الوقوف عند حدود الظاهر فقط ؛ لذا نرى أنه مثل يحمل دلالة ظاهرية يقود إلى دلالة معنوية حقيقية _ والله أعلم _ .

نتائج البحث :

بعد هذه الجولة في بطون التفاسير والمعجمات يمكن أن نستخلص النتائج الآتية :

١- الملازمة الدلالية طريقة دقيقة لبداية كشف المعنى المقصود بعيدا عن الاهتمام بظاهر الألفاظ فقط .

٢- لا يمكن الاتكاء على معنى المعجم فقط من غير النظر بملاءمة المعنى للألفاظ المتلازمة .

٣- الملازمة الدلالية في ألفاظ الطيب اتصفت باتساع المعنى الذي يمنع استبدال اللفظة بغيرها .

٤- التركيز بالملازمة الدلالية يمكن أن يحيي بعض المعاني المعجمية الميتة للفظة الطيب ولاسيما موافقتها للسياق بشكل عام .

الهوامش:

(١) مقاييس اللغة : ابن فارس:مادة (لزم) .

(٢) ظ: شرح شافية ابن الحاجب : الأستراباذي، ٢٠٠٤م :ج١ / ٢٥٣ ، و : شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد : ناظر الجيش :ج٨ / ٣٧٥٧ .

(٣) ظ: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك :ابن هشام : ج٣ : ٢٧٠ .

(٤) سورة آل عمران : ٣٨.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن : الطبري : ج٥ / ٣٦١ ، و ظ: الدر المنثور:السيوطي:ج٢ / ١٨٧ .

(٦) تفسير القرآن المشهور بـ (تفسير السمعاني):السمعاني : ج١ / ٣١٤ .

(٧) الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي : ج٣ / ١٧٥ .

(٨) دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية – مراجعة منهجية – : دكتور محمد إقبال: ٢٥ .

(٩) المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده :مادة : (الطيّب).

(١٠) المفردات في غريب القران : الراغب الأصفهاني: ٥٢٧ .

(١١) سورة النحل : ٣٢ .

(١٢) التبيان في إعراب القرآن : أبو البقاء العكبري: ج٢ / ٧٩٥ .

(١٣) التبيان في تفسير القرآن : الطوسي: ج٦ / ٣٧٧ .

(١٤) مقاييس اللغة : مادة (طيب) ، و . ظ : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : الجوهري: مادة (طيب).

(١٥) اللباب في علوم الكتاب: ابن عادل:ج١٢ / ٥٢ .

(١٦) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي):القرطبي: ج١٠ / ١٠١ .

(١٧) سورة النحل : ٢٢ .

(١٨) ظ: علم الدلالة : كولد جرمان ، ريمون لوبلون:٤٤ .

(١٩) سورة التوبة : ٧٢ .

(٢٠) ظ : سورة الصف : ١٢ .

(٢١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) : فخر الدين الرازي:ج١٦ : ١٠١ ، و. ظ : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير: ج٢ : ٣٨٣ .

(٢٢) ظ: اللباب في علوم الكتاب : ج١٠ : ١٤٥ .

(٢٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : الفيروزآبادى: ج٣ : ٥٣٢ .

(٢٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : الألوسي (ت١٢٧٠هـ) :ج٥ : ٣٢٦ .

(٢٥) ظ: دلالة الألفاظ : الدكتور إبراهيم أنيس: ١٢٩ .

(٢٦) التحرير والتنوير : الطاهر ابن عاشور: ج١٠ : ٢٦٤ .

(٢٧) لسان العرب : ابن منظور: مادة (سكن) .
(٢٨) مقاييس اللغة : مادة (سكن) .
(٢٩) تاج العروس من جواهر القاموس : الزَّبيدي : مادة (سكن) .
(٣٠) سورة الروم : ٢١ .
(٣١) سورة الأعراف : ٥٨ .
(٣٢) جامع البيان : ج١٠ : ٢٥٦ .
(٣٣) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي:ج٤ : ٤٧ .
(٣٤) التحرير والتنوير : ج٨ : ١٨٥ .
(٣٥) الميزان : ج٦ : ١٤٨ .
(٣٦) المحكم : مادة (بلد) .
(٣٧) في الديوان (... في جُدّة البلد) ظ: ديوان الراعي النميري : جمعه وحققه : راينهرت فايبرت :٨٠
(٣٨) سورة الحج : ٥ .
(٣٩) ظ: دلالة السياق : في النص القرآني : علي حميد خضير .: ١٠٥ .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

١- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ،(د.ط) ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : إلى ألفية ابن مالك: أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف ،ابن هشام (ت ٧٦١هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة،(د.ط)،(د.ت).

٣- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة عام النشر، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

٤- تاج العروس من جواهر القاموس : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية ، (د.ط) ، (د.ت) .

٥- التبيان في تفسير القرآن :أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي، دار احياء التراث العربي،ط١، ١٤٠٩هـ.

٦- التبيان في إعراب القرآن : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : ٦١٦هـ) المحقق : علي محمد البجاوي الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، (د. ط) ، (د. ت).

٧- التحرير والتنوير :سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ،الدار التونسية للنشر ، تونس،(د.ط)،١٩٨٤م .

٨- تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

٩- تفسير القرآن المشهور بـ (تفسير السمعاني): أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) .

١٠- جامع البيان في تأويل القرآن : محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

١١- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ،ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

١٢- الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ):الناشر: دار الفكر – بيروت (د.ت) ، (د. ط) .

١٣- دلالة الألفاظ : الدكتور إبراهيم أنيس ،الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٥ ، ١٩٨٤م.
١٤- دلالة السياق : في النص القرآني : علي حميد خضير ،الأكاديمية العربية في الدنمارك ، (د. ط) ، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
١٥- دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية – مراجعة منهجية – : دكتور محمد إقبال عروي ، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية – الكويت ،ط١ ، ٢٠٠٧م – ١٤٢٨هـ .
١٦- ديوان الراعي النميري : جمعه وحققه : راينهرت فايبرت ، دار النشر : فرانتس شتاينر بفيسبادن ، بيروت ، (د.ط) ، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م .
١٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١، ١٤١٥ هـ .
١٨- شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش (ت ٧٧٨ هـ) ، دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – جمهورية مصر العربيةالطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ .
١٩- شرح شافية ابن الحاجب :حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأستراباذي، ركن الدين (ت ٧١٥هـ)، المحقق: د. عبد المقصود محمد عبد المقصود، الناشر: مكتبة الثقافة الديني، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م .
٢٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية :أسماعيل بن حماد الجوهري (المتوفى: ٣٩٣هـ) ،تحقيق:أحمد عبد الغفور عطار :دار العلم للملايين – بيروت –لبنان ،ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.
٢١- علم الدلالة : كولد جرمان ، ريمون لوبلون : ترجمة : الدكتورة نور الهدى لوشن ، منشورات جامعة قات يونس / بنغازي ، ط١ ، ١٩٩٧م .
٢٢- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ)،تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط١ ، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
٢٣- لسان العرب : محمد بن مكرم بن علي ابن منظور(ت٧١١هـ) ،دار صادر –بيروت –لبنان،(دط)،(د.ت).
٢٤- المحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ابن سيده)(ت٤٥٨هـ)،تحقيق: الدكتور عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلميّة ،بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٥- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

٢٦- المفردات في غريب القران : الراغب الأصفهاني(ت ٥٠٢هـ)،تحقيق: صفوان عدنان داوودي ، دار القلم – الدار الشامية ،ط٤، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م .
٢٧- مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد ابن فارس(ت٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط٢ ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٢٨- الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي(ت١٩٨١م)، منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت – لبنان،ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .